سلسلة كتيبات شبكة بينونة

# الاستقامة على الدين

## مظاهرها وأسبابها والثبات عليها

الشيخ
إبراهيم بن عبدالله المزروعي

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

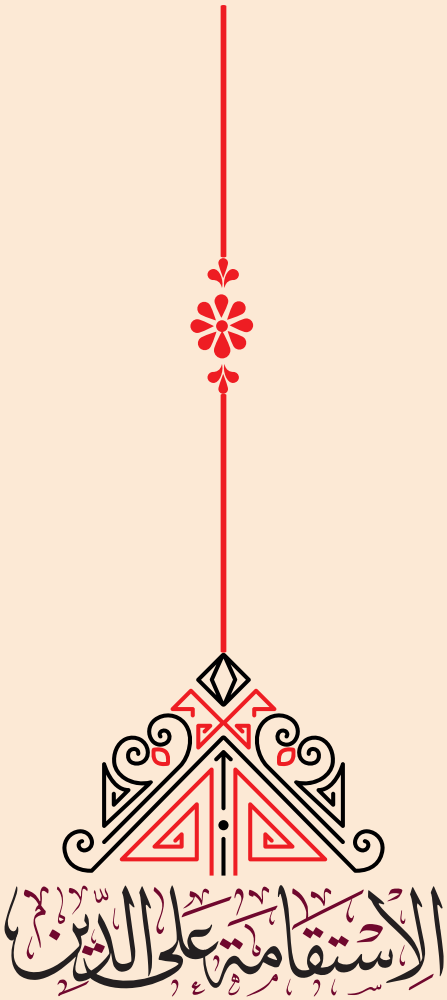
الاستقامة على الدين

# الاستقامة على الدين

الشيخ
إبراهيم بن عبد الله الحزروعي

شبكة بينونة للعلوم الشرعية

حقوق الطبع محفوظة

للمزيد من الكتب

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet
www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أما بعد؛ فإننا نحمد الله عَزَّوَجَلَّ على نعمة الإسلام، وهذه المحاضرة التي هي بعنوان: **«الاستقامة على الدين»**.

إن موضوع هذه المحاضرة عن الاستقامة، وهو موضوع عظيم الأهمية جليل القدر وجدير بكل واحد أن يعنى به، وأن يعطيه من اهتمامه وعنايته، فالله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الأحقاف :١٣-١٤]، والله عَزَّوَجَلَّ يقول:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾ [فصلت :٣٠]، فالاستقامة يترتب عليها سعادة الدنيا والآخرة وفلاح العبد وصلاح أمره، فجدير بالناصح لنفسه الراغب في سعادتها أن يعنى بالاستقامة عظيم العناية علما وعملا وثباتا مستمدا العون من الله تبارك وتعالى، وترد على العلماء وطلاب العلم والمصلحين أسئلة كثيرة عن الاستقامة وعن حقيقتها وعن الأمور التي تعين على الثبات على الاستقامة وما هي أسباب الانحراف عن الاستقامة، كيف نثبت على الاستقامة؟ ما هو طريق الاستقامة؟ أسئلة كثيرة ترد على العلماء وعلى طلبة العلم، فمن خلال هذه المحاضرة نجيب على كثير من هذه الأسئلة، الآيات كثيرة من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، يضيف الله عَزَّوَجَلَّ إلى نفسه الهداية إلى صراطه المستقيم وأن الأمر كله بيده

عَزَّوَجَلَّ، يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وبيده سبحانه وتعالى قلوب العباد، فالله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾ [النساء :٦٦-٦٨]، فالهداية إلى الصراط منة إلهية، والآيات كثيرة في هذا المعنى، ولهذا كان من أول قواعد الاستقامة وأسسها التوجه الصادق إلى الله عَزَّوَجَلَّ في طلب الاستقامة؛ لأن الاستقامة بيد الله عَزَّوَجَلَّ، والهداية بيد الله عَزَّوَجَلَّ، ولذلك كان أكثر دعاء النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، هذا هو الثبات على الاستقامة، وتقول أم سلمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قلت: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَ إِنَّ الْقُلُوبَ لَتَتَقَلَّبُ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، مَا مِنْ خَلْقِ اللهِ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ بَشَرٍ إِلَّا أَنَّ قَلْبَهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ، فَإِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَقَامَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ**»[1]،

(١) رواه أحمد والترمذي، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة(٢٠٩١).

فالاستقامة بيد الله عَزَّوَجَلَّ، فمن أرادها لنفسه فليطلبها من الله عَزَّوَجَلَّ وليلح في السؤال، ولهذا فالمسلم مطلوب منه أن يداوم على دعاء الله عَزَّوَجَلَّ الهداية للاستقامة، وحقيقة الاستقامة لزوم المنهج القويم الصراط المستقيم، روى الطبري في تفسيره[٢] قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾: «هم الذين لم يشركوا بالله شيئا»، وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ قال: «على شهادة أن لا إله إلا الله»، وروي عنه أيضا قال: «استقاموا على أداء فرائضه»، وهكذا أبو العالية رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «ثم أخلصوا له الدين والعمل»، ويقول قتادة أيضا في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ قال: «استقاموا على طاعة الله»، هذه الأقوال ذكرها الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في جامع العلوم والحكم[٣]،

(٢) جامع البيان (٢١/ ٤٦٤).
(٣) (١/ ٥٠٨).

ثم عرف الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ الاستقامة فقال: **«والاستقامة: هي سلوك الصراط المستقيم، وهو الدين القيم من غير تعريج عنه يمنة ولا يسرة، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها، الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها كذلك، فصارت هذه الوصية جامعة لخصال الدين كلها»**(٤)، ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«فالاستقامة كلمة جامعة، آخذة بمجامع الدين، وهي القيام بين يدي الله علىٰ حقيقة الصدق، والوفاء بالعهد»**(٥)، أصل الاستقامة استقامة القلب، فقد روى الإمام أحمد في المسند من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ**»(٦)، فأصل الاستقامة استقامة القلب، فالقلب إذا صلح واستقام تبعه البدن، ولذلك يقول الحافظ

(٤) جامع العلوم والحكم (١/ ٥١٠).

(٥) مدارج السالكين (٢/ ١٠٦).

(٦) حسنه الألباني في الصحيحة (٢٨٤١).

ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأصل الاستقامة استقامة القلب علىٰ التوحيد... فمتىٰ استقام القلب علىٰ معرفة الله، وعلىٰ خشيته، وإجلاله، ومهابته، ومحبته، وإرادته، ورجائه، ودعائه، والتوكل عليه، والإعراض عما سواه، استقامت الجوارح كلها علىٰ طاعته، فإن القلب هو ملك الأعضاء، وهي جنوده، فإذا استقام الملك، استقامت جنوده ورعاياه»[٧]، جاء في الصحيحين عن النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»[٨]، وابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضا يقول: «ولما كان القلب لهذه الأعضاء كالملك المتصرف في الجنود، الذي تصدر كلها عن أمره، ويستعملها فيما شاء، فكلها تحت عبوديته وقهره، وتكتسب منه الاستقامة والزيغ،

(٧) جامع العلوم والحكم (١/ ٥١٢).
(٨) البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله»[٩] الاستقامة المطلوبة من العبد هي السداد، فإن لم يقدر فالمقاربة، معنى ذلك يذكره رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا»[١٠]، المطلوب في باب الاستقامة السداد، السداد أن تصيب السنة، ولذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان من دعائه ومن تعليمه للصحابة لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال له: «قُلِ اللهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي»[١١] فالعبد مطلوب منه أن يجاهد نفسه، على أن يصيب السداد، أن يصيب هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونهجه وسلوكه، أن يجاهد نفسه على ذلك فإن لم يتمكن فعليه بالمقاربة: سددوا وقاربوا، المقاربة يعني العمل قريب من

(٩) إغاثة اللهفان (١/ ٥).
(١٠) رواه البخاري (٣٩).
(١١) رواه مسلم (٢٧٢٥)

السداد بقدر ما يستطيع، والله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُۗ﴾ [فصلت: ٦]، وذكر الاستغفار بعد الأمر بالاستقامة فيه إشارة إلى أن العبد لابد له من تقصير مهما جاهد نفسه على الاستقامة، لذلك يقول الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وفي قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُۗ﴾ إشارة إلىٰ أنه لابد من تقصير في الاستقامة المأمور بها، فيجبر ذلك بالاستغفار المقتضي للتوبة والرجوع إلىٰ الاستقامة، فهو كقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمعاذ: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها»**[١٢]، فالسداد هو حقيقة الاستقامة وهو الإصابة في جميع الأقوال والأعمال والمقاصد، أيضا الاستقامة تتعلق بالأقوال والأفعال والنيات هذه الاستقامة المطلوبة، استقامة العبد في أقواله وفي أفعاله وفي نياته، ينبغي أن تكون الأقوال والجوارح والقلب

(١٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٥١٠).

**أن تكون كلها ماضية على الاستقامة قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في مدارج السالكين**(١٣) **قال: «والاستقامة تتعلق بالأقوال، والأفعال، والأحوال، والنيات»**، وهكذا قال الحافظ ابن رجب أيضا: **«وأعظم ما يراعىٰ استقامته بعد القلب من الجوارح اللسان، فإنه ترجمان القلب والمعبر عنه»**(١٤) ، فإذا استقام القلب استقامت الجوارح، وإذا استقام اللسان استقامت الجوارح، ولهذا كان واجبا على كل مسلم أن يعنى بصلاح قلبه وأن يسأل ربه عَزَّوَجَلَّ أن يصلح قلبه.

أما ثمرة الاستقامة في الدنيا فهي الاستقامة على الصراط يوم القيامة، ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ له كلام جيد قال: **«فمن هدي في هذه الدار إلىٰ صراط الله المستقيم، الذي أرسل به رسله، وأنزل به كتبه، هدي هناك إلىٰ الصراط**

(١٣) (٢/ ١٠٦).

(١٤) جامع العلوم والحكم (١/ ٥١٢).

**المستقيم، الموصل إلىٰ جنته ودار ثوابه، وعلىٰ قدر ثبوت قدم العبد علىٰ هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار يكون ثبوت قدمه علىٰ الصراط المنصوب علىٰ متن جهنم، وعلىٰ قدر سيره علىٰ هذه الصراط يكون سيره علىٰ ذاك الصراط، فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كشد الركاب، ومنهم من يسعىٰ سعيا، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يحبو حبوا، ومنهم المخدوش المسلم، ومنهم المكردس في النار، فلينظر العبد سيره علىٰ ذلك الصراط من سيره علىٰ هذا، حذو القذة بالقذة، جزاء وفاقا»**[١٥]، إذًا علمنا من خلال هذه المقدمة أن الاستقامة على الدين أن يسلك المسلم الطريق المستقيم في عقيدته وفي اتباعه وفي عبوديته وعبادته ومعاملته وأخلاقه وفي جميع شؤونه، يسلك

(١٥) مدارج السالكين (١/ ٣٣).

الطريق المستقيم، هذا معنى الاستقامة على الدين، هذا الطريق هو المنهج الذي سار عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته وأئمة الإسلام والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، هذا الطريق هو الذي ارتضاه الله عَزَّوَجَلَّ لهذه الأمة لتسير عليه وتسلكه لتنجو من النار، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء: ١١٥]، ويقول حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اتَّقُوا اللهَ يا مَعْشَرَ القُرّاءِ، وخُذُوا طَرِيقَ مَن كانَ قَبْلَكُمْ، فَواللهِ لَئِنِ اسْتَقَمْتُمْ لَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، ولَئِنْ تَرَكْتُمُوهُ يَمِينًا وشِمالًا لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلالًا بَعِيدًا»[١٦]، إذًا يوصي بأخذ طريق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته، من أراد الاستقامة هذا هو طريق الاستقامة، إذًا طريق الاستقامة على الدين هو منهج رسول الله

(١٦) رواه البخاري (٧٢٨٢).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته ومن سار عليه إلى يوم الدين، هو منهج الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، وكان قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ إذا تلا قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ قال: « **إنكم قد قلتم ربنا الله، فاستقيموا علىٰ أمر الله وطاعته وسنة نبيكم، وامضوا حيث تؤمرون، فالاستقامة أن تلبث علىٰ الإسلام والطريقة الصالحة ثم لا تمرق منها ولا تخالفها، ولا تشذ عن السنة ولا تخرج عنها** »[١٧]، طريق الاستقامة يحتاج الذي يسلك طريق الاستقامة إلى علم وبصيرة وفقه وعمل ودعوة وصبر وثبات، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «**السائر إلىٰ الله تعالىٰ والدار الآخرة، بل كل سائر إلىٰ مقصد، لا يتم سيره ولا يصل إلىٰ مقصوده إلا بقوتين: قوة علمية، وقوة عملية، فبالقوة العلمية يبصر منازل الطريق، ومواضع السلوك فيقصدها سائراً فيها، ويجتنب أسباب**

(١٧) الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد ١/ ١٦ - ابن المبارك (ت ١٨١).

**الهلاك ومواضع العطب وطرق المهالك المنحرفة عن الطريق الموصل، فقوته العلمية كنور عظيم بيده يمشىٰ به في ليلة عظيمة مظلمة شديدة الظلمة، فهو يبصر بذلك النور أعلام الطريق وأدلتها المنصوبة عليها فلا يضل عنها...وبالقوة العملية يسير حقيقة، فإن السير هو عمل المسافر... وهو أن يضع عصاه علىٰ عاتقه ويشمر مسافراً في الطريق قاطعاً منازلها منزلة بعد منزلة»**[١٨]، إذًا فمن أراد السير على منهج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والثبات عليه فعليه بالعلم الشرعي والعمل بالعلم والدعوة والصبر والثبات، ولما جهل المنحرفون عن طريق الاستقامة من أهل الفرق الضالة عن العلم بهذا الطريق جهلوا العلم بهذا الطريق وقعوا في التناقض والقول بالظن والحكم بالهوى، توهموا الحق باطلا والباطل حقا، فعصفت بهم رياح البدع وجرفتهم

(١٨) طريق الهجرتين (٢٨٤).

أمواج التفرق والاختلاف عن طريق الاستقامة، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**إن الاختلاف سببه اشتباه الحق وخفاؤه، وهذا لعدم العلم الذي يميز بين الحق والباطل**»[١٩]، ويقول الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**إن أصل حدوث الفرق إنما هو الجهل بمواقع السنة**»[٢٠]، إذًا كان العلم بمنهج السلف وفهمه فهما سليما والعمل به سببا قويا لمعرفة طريق الاستقامة والثبات عليه، فالواجب على المسلم أن يستقيم كما أمر أن يحذر من العدول والانحراف عن طريق الاستقامة فيندم يوم لا ينفع الندم.

نذكر أسباب انحراف الناس عن طريق الاستقامة، لماذا ينحرف الناس عن طريق الاستقامة أسباب كثيرة نذكر منها خمسة:

أول سبب من أسباب الانحراف عن الاستقامة:

(١٩) إعلام الموقعين (١/ ١٩٧).
(٢٠) الاعتصام (٢/ ٢٣٥).

اتباع الهوى، ميل النفس أو الطبع إلى الشيء عدم الاستجابة لأمر الله ولأمر رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**سمي أهل البدع أهل الأهواء لأنهم اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها والتعويل عليها حتىٰ يصدروا عنها بل قدموا أهواءهم واعتمدوا علىٰ آرائهم**»[٢١]، ومن قبله يقول الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**لأن يلقىٰ الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير من أن يلقاه بشيء من هذه الأهواء**»[٢٢].

من أسباب الانحراف عن الاستقامة تحكيم العقل والرأي في نصوص الوحي، كل ما في الشريعة فهو موافق للعقل، الشرع حاكم على العقل لا يمكن أبدا أن يتعارض نص صحيح صريح وعقل سليم، لا يجوز معارضة النصوص بالعقول والآراء، قال

(٢١) الاعتصام (٢/ ١٧٦).

(٢٢) ذكره البيهقي في سننه بإسناد صحيح (١٠/ ٢٠٦).

ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**فإذا تعارض النقل وهذه العقول أخذ بالنقل الصريح ورمي بهذه العقول تحت الأقدام وحطت حيث حطها الله وحط أصحابها**»[٢٣]، إذًا الآراء الباطلة التي تخالف الكتاب والسنة تحكيمها من أسباب الانحراف عن الاستقامة، ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ما هلكت أمة من الأمم إلا بتقديم آرائها علىٰ الوحي، ولا تفرقت الأمة فرقا وكانوا شيعا إلا بتقديم آرائهم علىٰ النصوص**»[٢٤]، إذا هذا السبب الثاني من أسباب الانحراف عن الاستقامة تحكيم العقل والرأي في نصوص الوحي.

أيضا من أسباب الانحراف عن الاستقامة: مقارفة البدع، البدع محرمة في الدين، البدعة كل ما يتقرب به إلى الله عَزَّوَجَلَّ ليس عليه نص ولا دليل، قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**إن البدعة الشرعية التي هي ضلالة هي ما فعل**

(٢٣) الصواعق المرسلة (٢/ ٧٩١).

(٢٤) مختصر الصواعق المرسلة (٥١٣).

**بغير دليل شرعي كاستحباب ما لم يحبه الله، وإيجاب ما لم يوجبه الله وتحريم ما لم يحرمه الله، فلا بد مع الفعل من اعتقاد يخالف الشريعة»**[٢٥] ، إذا من أسباب الانحراف عن الاستقامة مقارفة البدع البدعة من أعظم أسباب التفرق والاختلاف الذي وقع في هذه الأمة، من أعظم أسباب الانحراف عن الاستقامة البدعة، ولذلك قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: « **عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ، وَالِاسْتِقَامَةِ، اتَّبِعْ وَلَا تَبْتَدِعْ** »[٢٦]، إذًا البدعة من أعظم أسباب الانحراف على الاستقامة، ويقول الإمام الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ: «**رحم الله عبدا حذر هذه الفرق، وجانب البدع وأتبع ولم يبتدع، ولزم الأثر فطلب الطريق المستقيم، واستعان بمولاه الكريم**»[٢٧] .

**الرابع من أسباب ترك الاستقامة:** التقليد بغير دليل، ولذلك الله عَزَّوَجَلَّ ذم في كتابه أناسا قلدوا أباءهم

(٢٥) منهاج السنة النبوية(٨٣٠٨).

(٢٦) رواه الدارمي في سننه (١/ ٩٥).

(٢٧) الشريعة (ص٢٥).

وزعماؤهم وسادتهم دون حجة ولا دليل ولو كان ذلك في مخالفة الحق، فأقوال الآباء والرؤساء والعلماء لا تؤخذ على سبيل الإطلاق وإنما تقيد بالشرع، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وإنما كثر الاختلاف ... بسبب التقليد وأهله، وهم الذين فرقوا الدين وصيروا أهله شيعا، كل فرقة تنصر متبوعها، وتدعو إليه، وتذم من خالفها... ويقولون: كتبهم، وكتبنا وأئمتهم وأئمتنا، ومذهبهم ومذهبنا، هذا والنبي واحد والقرآن واحد والدين واحد والرب واحد؛ فالواجب علىٰ الجميع أن لا يطيعوا إلا الرسول، ولا يجعلوا معه من يكون أقواله كنصوصه، فلو تحاكموا كلهم إلىٰ السنة وآثار الصحابة لقل الاختلاف**»[٢٨].

**الخامس من أسباب ترك الاستقامة:** التأويل بغير حجة، التأويل صرف ظاهر اللفظ من الكتاب والسنة

(٢٨) إعلام الموقعين (٢/ ٢٢٦).

صرفه عن ظاهره من غير دليل شرعي إلىٰ معنىٰ آخر، هذا التأويل بغير حجة بغير دليل هذا من أسباب ترك الاستقامة التأويل بغير حجة، الجدال المذموم للمنازعة والمغالبة التحزب المذموم للجماعة والقبيلة والرجال فيما يخالف شريعة الإسلام، هذه من أسباب ترك الاستقامة كذلك التعمق التنطع التشدد الغلو، أسباب كثيرة تكون لترك الاستقامة علىٰ الدين نكتفي بها.

نتكلم عن أسباب الثبات على الاستقامة، من استقام على دين الله عَزَّوَجَلَّ يحتاج إلى ثبات على هذه الاستقامة، فما هي أسباب الثبات على الاستقامة؟ هذه مسألة مهمة وخاصة عند الفتن عندما تكثر الفتن يحتاج المستقيم للثبات على استقامته، على لزومه السنة والصراط المستقيم لا بد أن يأخذ بالأسباب ليثبته الله عَزَّوَجَلَّ على الاستقامة، من أسباب الثبات على الاستقامة

خاصة عند الفتن التعوذ من الفتن، تجنب الفتن الفرار من الفتن الصبر بأنواعه عند وقوع الفتن المسارعة إلى طاعة الله عَزَّوَجَلَّ بأنواعها، الإكثار من العبادة هذه من أهم الأسباب اللجوء إلى الله عَزَّوَجَلَّ: اللهم إني أعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن التعوذ من الفتن اللجوء إلى الله عَزَّوَجَلَّ والاستعانة به سبحانه وتعالى، هذا من أهم أسباب الثبات على الاستقامة، فإذا ابتلي المستقيم وهو في طريق الاستقامة مما يعينه على الثبات، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«إن المكلفين بعد إرسال الرسل إليهم بين أمرين إما أن يقول أحدهم آمنت وإما أن لا يقول، بل يستمر علىٰ السيئات، فمن قال آمنا امتحنه الرب تعالىٰ وابتلاه لتتحقق بالإيمان حجة إيمانه وثباته عليه وأنه ليس بإيمان عافية ورخاء فقط بل إيمان ثابت في حالتي النعماء والبلاء»**[٢٩]، فالابتلاء بالتكليف

(٢٩) شفاء العليل (ص٢٤٥).

وبالنعم وبالمصائب يظهر حقيقة الإيمان، لابد من الابتلاء لمن أراد الاستقامة على الدين، فمن أراد الثبات على الاستقامة فعليه أن يثبت عند التكليف إذا أطاع أمر الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وانقاد انقيادا له واجتنب ما نهى الله عنه ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾، إذًا من أسباب الثبات على الاستقامة فعل الأوامر طاعة الله عَزَّوَجَلَّ الثبات عند التكليف بالأوامر، الانقياد الكامل للأوامر واجتناب النواهي، فمن أراد الثبات على الاستقامة عند الابتلاء بالنعم أيضا فعليه بشكر هذه النعم وبظهور أثر هذه النعم عليه وأداء حقوقها، ومن أراد الثبات على الاستقامة عند الابتلاء بالمصائب فعليه بالرضا بقضاء الله تعالى وقدره، عليه بالصبر عند المصيبة، عليه أن يتذكر حسن الجزاء، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦]،

وليتذكر أيضا حط الذنوب وتكفير السيئات والعواقب محمودة إذا ثبت وصبر واحتسب ورضي وسلم أمره لله تعالى.

أيضا من أسباب الثبات على الاستقامة وخاصة عند دعوة الناس عند نشر السنة عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالمستقيم على دين الله يجد مشقة وصدودا وأذى، فإذا أراد الثبات على الاستقامة والقيام بهذا الواجب الشرعي فعليه بالعلم الشرعي والفقه في الدين، عليه بالتوكل على تعالى، طلب المعونة من الله عَزَّوَجَلَّ والسداد والثبات والصبر والحكمة وحسن الخلق، كما أن عليه بالعمل بالعلم الإخلاص في طلب العلم الرفق التيسير الحلم التواضع التأني، مراعاة المصالح والمفاسد عند دعوته الناس وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، فإذا فعل ذلك ثبته الله عَزَّوَجَلَّ على الاستقامة وأعانه عليها ورحمه سبحانه

وتعالى.

**من أسباب الثبات علىٰ الاستقامة:** الحذر من العدول عن الاستقامة الحذر من الانتكاس عن طريق الحق، وذلك بالبعد عن أسباب الانحراف عن الاستقامة التي مرت معنا وذكرناها في هذه المحاضرة، وأهم هذه لأسباب -أسباب الانحراف- مجالسة أهل الأهواء والبدع والفسق والمعاصي.

خامسا من أسباب الثبات على الاستقامة خاصة عند الموت الدعاء بالثبات عند الموت حب لقاء الله عَزَّوَجَلَّ المبادرة بالتوبة الإكثار من ذكر الموت، حسن الظن بالله استمرار على الأعمال الصالحة، أسباب كثيرة نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يعيننا وإياكم على الأخذ بهذه الأسباب ليثبتنا الله عَزَّوَجَلَّ على دينه.

قبل الختام هذه نصيحة لأهل الاستقامة: يا من

استقمت على أمر الله لا تستوحش من كثرة الفاسقين، فالله عَزَّوَجَلَّ بين أن أكثر الناس ضالون عن الطريق، منحرفون عن الصراط زائغون عن الاستقامة، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٦]، قال البيضاوي في تفسيره(٣٠): **«يريد الكفار، أو الجهال أو أتباع الهوى»**، والله عَزَّوَجَلَّ يقول أيضا: ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٣]، والله عَزَّوَجَلَّ بين أن أهل الحق والاستقامة قلة بين الناس فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ [ص: ٢٤]، كما بين رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن الذين يسلكون منهجه وطريق الاستقامة قليل من هذه الأمة، فقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: « **بدأ الإسلام غريبا، وسيعود كما بدأ**

(٣٠) (٢/ ١٧٩).

**غريبا، فطوبى للغرباء**»[٣١]، وجاء في رواية: «**أُنَاسٌ صَالِحُونَ فِي أُنَاسِ سُوءٍ كَثِيرٍ**»[٣٢]، إذا أهل الاستقامة هم قلة، فلا تستوحش بقلة المستقيمين كثرة الفاسقين، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر افتراق الأمة قال: «**وإن أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار**»[٣٣]، إذا الفرقة الناجية فرقة واحدة من ثلاث وسبعين، فهم قلة فإذا كان كذلك فليوطن المستقيم نفسه على قدح الجهال وأهل البدع والفسق، يصبر على الاستقامة حتى يلقى الله عَزَّوَجَلَّ، هذه نصيحة لمن استقام، ونختم بكلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «**سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: أعظم الكرامة لزوم الاستقامة**»[٣٤]، ويقول أيضا ابن

(٣١) رواه مسلم (١٤٥).

(٣٢) رواه أحمد (١٦٧٣٦).

(٣٣) رواه ابن ماجه (٣٩٩٣).

(٣٤) مدارج السالكين (٢/ ١٠٦).

تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وإنما غاية الكرامة لزوم الاستقامة**»[٣٥]، ثم يقول بعده ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**كن صاحب الاستقامة، لا طالب الكرامة. فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة. وربك يطالبك بالاستقامة**»[٣٦] معنى كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن العبد ينبغي عليه أن يكون دوما وأبدا مجاهدا لنفسه في أن يلزم صراط الله المستقيم أن يحافظ على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ أن يجاهد نفسه على ذلك لينال أعظم الفوز وأكبر الغنيمة وهي قول ربنا عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

(٣٥) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (١/ ١٨٧).
(٣٦) مدارج السالكين (٢/ ١٠٦).

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يثبتنا وإياكم على طريق الاستقامة، وأن يعيننا وإياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته، اللهم احفظ بلادنا وبلاد المسلمين من كل سوء وشر.

اللهم وفق ولاة أمورنا لما تحبه وترضاه، اللهم ارزقهم البطانة الصالحة، اللهم إنا نسألك علما نافعا وقلبا خاشعا ودعاء مستجابا اللهم ثبتنا على دينك يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

حقوق الطبع محفوظة

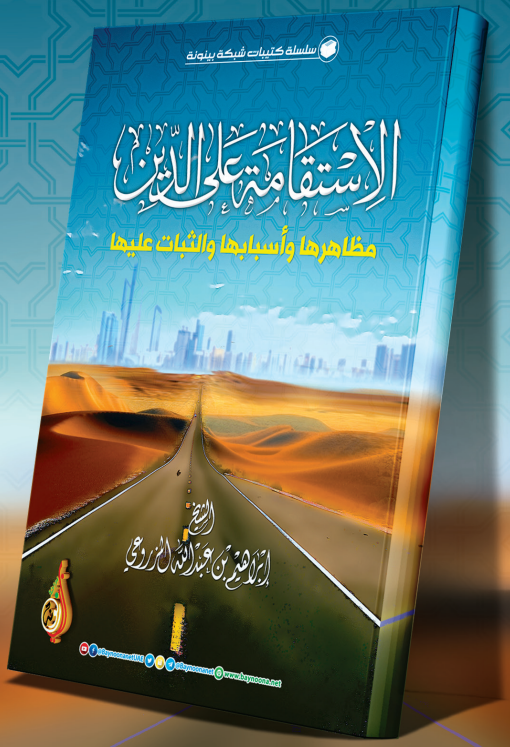


شبكة بينونة للعلوم الشرعية